طاولة الثقافة الشعبية

التحولات الفولكلورية في التاريخ الشعبي

بغداد / المدى

عقدت طاولة الثقافة الشعبية في اسبوع المدى الثقافي السادس في اليوم الثاني من بدء الاسبوع وفي الساعة العاشرة من صباح الجمعة الثاني من مايس الجاري على قاعة المركز الثقافي النفطي.

وشارك الباحثون: رفعت مرهون الصفار وقاسم خضير عباس وباسم عبد الحميد حمودي ومحمد حسن سلمان الحسني اضافة إلى الباحثين ناجح المعموري وزين النقشبندي وحسين الهلالي في اعداد اوراق البحث الخاصة بهذه الندوة التي حضرها لفيف من المثقفين.

طاولة... واخرى

رأس الجلسة الباحث باسم عبد الحميد حمودي الذي ادار نقاشاتها المهمة داخل الحلقة فيما انعقدت طاولة ثانية لا تقل اهمية عن الندوة الاساسية في حدائق المركز حضرها السادة طارق حرب الخبير القانوني و الباحث عادل العرداوي وعدد من الصحفيين والحضور لمناقشة مواد الندوة وافكارها خارج اطار الجلسة.

رفعت الصفار: التراث الشعبي والتاريخ

اول المتحدثين الباحث رفعت مرهون الصفار وكان بحثه بعنوان (التراث الشعبي والتاريخ) وقد جاء فيه ما يثبت ان باحث التراث الشعبي لا يقل اهمية عن المؤرخ في بحث الواقعة التاريخية والبلدانية بل انه يعللها ويضيف إلى صيغتها ما يغني.

ذلك (ان مهمة الباحث الشعبي البحث في جميع الجوانب لتقريب الصورة التاريخية إلى الاذهان بما يعطيها الصدقية في التصور وان دراسة التراث الشعبي جزء مهم يحتاجه الباحث المؤرخ في دراساته لكتب التاريخ عن منطقة الدراسة.

محمد حسن الحسني

كان البحث الثاني للسيد محمد حسن الحسني عن (بعض وسائل اللهو والتسلية في بغداد خلال النصف الاول من القرن الماضي) وقد قدم الباحث لبحثه بصورة تاريخية للحياة الفنية والاجتماعية في العراق منذ اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ حيث انتشرت الملاهي والمنتديات الفنية في بغداد اضافة إلى المقاهي التي كانت تقدم حفلات المقام مثل مقهى الشط ومقهى سبع وسواهما وقال الباحث: ان المغنية (لعبت دورا في حياة البغدادي مرهف الحس.

الجواهري والرصافي والفنون

تهافتت العديد من المغنيات والمطربات والراقصات المصريات والسوريات وحتى التركيات والايرانيات والاوروبيات على ملاهي بغداد ومقاهيها التي تحولت إلى مسارح للرقص والغناء امثال: طيرة المصرية، والحلبية بدرية السواس والراقصة التركية — (الس). والسورية بديعة عطش التي خلدها الجواهري الكبير بالقول:

هزي بنصفك واتركي نصفا ولا تخدري لقوامك القصنعا

فيما قال الرصافي عن منيرة المهدية:

هلم إلى ذا الغناء الذي منيرة اتت به العجب

هلم إلى ذوق طعم الادب هلم إلى نيل اقصى الأرب

وذكر الباحث تفاصيل طريقة على فرق التمثيل العربية التي وفدت إلى العراق وعن مسارح اللهو في بغداد واهم هذه المسارح والملاهي واصحابها واماكنها ما اعطى للبحث نكهة الاضافة والاستذكار والتحديد الموقعي لهذه الاماكن التي شهد الكثير من الوقائع الفنية.

قاسم خضير عباس: من الظواهر اللغوية الاجتماعية

كان بحث الاستاذ قاسم خضير عباس بعنوان (من الظواهر اللغوية الاجتماعية- نظرة في ظاهرة السب والشتم) وهو بحث جديد جمع فيه الكاتب آراء المعاجم في معنى السب والشتم كظاهرة لغوية وما نهت عنه الكتب الدينية من استخدام الشتيمة وسيلة للاستقواء وذمها وتناول الباحث بعض الفاظ السباب والشتم وحللها مستدركا ان قواميس الشعوب تحوي الكثير من هذه الالفاظ النابية التي تنفي منها صفات الادب وتسود فيها صفات التخلف والقسوة.

باسم حمودي: التاريخ الشعبي والتاريخ الرسمي

وتحدث باسم عبد الحميد حمودي عن (مكونات التاريخ الثقافي الشعبي والرسمي وسبل البحث فيهما، واستعراض الكثير من المسميات والتعريفات للحضارة والثقافة والتراث الشعبي والثقافة الشعبية.. الخ.

واكد على وجود (تواريخ) لا تاريخ واحد وقال بتداخل وتشكل الثقافة العامة للشعب الجامعة للثقافة الشعبية والثقافة المتخصصة والابداعية وقال: بأن مصطلح التاريخ الثقافي يعني (توثيق ودراسة آداب الناس في احوالهم في المعاش وامور الدنيا ومعاملاتهم وتصرفاتهم في الحياة اليومية وابداعاتهم.. وبالتالي تسجيل جملة الاحوال الاجتماعية والمنجزات الفكرية بكل أوجهها وانماط التفكير، والقيم السائدة ثم قدم تفصيلات للمعارف والعلوم والصناعات والتقاليد الشعبية والعلوم البصرية المبوبة عمليا ورؤوس موضوعات هذه التفاصيل بما يعني اجتماع الثقافتين الشعبية والرسمية في اطار دراسة هذه القيمة إلى تلك وذلك يثبت الوجه الاخر للتاريخ هو اقتران الرسمي بالشعبي واختلافهما معا.

بحوث أخرى

لم تتسع الطاولة إلى بحوث أخرى اعدها الاساتذة ناجح المعموري (سقوط الألوهة المذكرة وصعود الالهة الشابة الجديدة ملحمة الخليقة نموذجاً) وزين النقشبندي (أمين المميز... ذكريات تراثية، وحسين الهلالي (الصلة بين العتابة والابوذية) وستنشرها (المدى) في اعداد صفحة الثقافة الشعبية القادمة التي ستزداد غنى بهذه الاوراق التي اثبتت ثراء العمل البحثي العراقي في (الثقافة الشعبية) وقدرة الباحثين على دخول كل عوالمه واكتشافها وتحليلها بما يجدي وينفع ويجعل الابواب مشرعة لكل جديد في هذه البحوث.

من بحوث الطاولة

التراث الشعبي والتأريخ

رفعت مرهون الصفار

الحديث عن التراث الشعبي واهميته يحتاج إلى دراسة مفصلة بسبب تشعب مساراته وتنوعاته كونها تتعلق بدراسة الواقع المعيشي للفرد والاسرة والمجتمع من حيث المسكن والملبس والمأكل والعادات وما يتعلق بها من قضايا بيئية وعوامل اجتماعية واقتصادية وغيرها.

واذ تعتبر دراسة التراث الشعبي في بعض اوجهها بمثابة اعادة كتابة التاريخ بما يلقيه من الضوء على ماضي الانسان وتعتبر من جانب آخر واحد من مضامين علم الطبيعة لما تبحث فيه من امور البيئة والمحيط الذي يعيش فيه الانسان.

ان دراسة التراث الشعبي تسلط الضوء على احوال المجتمع بالشكل الذي يوضح الصورة بكل نقائها امام القارئ من جميع جوانبها السلبية والايجابية من دون ان يتاثر الدارس بأي من المؤثرات بالشكل الذي يجعل الصورة اكثر نقاءا ووضوحا.

ولما كان الانسان ابن بيئته فأصبح والحالة هذه لمن يريد دراسة التراث ان يستفيد من هذه المؤثرات بما يغني دراستها ويجعلها اقرب للواقع المعيشي، وان التراث يختلف عن التأريخ ولو انه في بعض جوانبه احد الوسائل للمشتغلين بكتابة التاريخ لايضاح حالة معينة او بيان من صورة من الصور، وكاتب التاريخ قد تؤثر فيه عوامل كثيرة تجعله يغفل عن ذكر بعض الجوانب على حساب جوانب أخرى تاثيرا بمؤثرات نفسيه او سياسية او اجتماعية او اقتصادية او دينية إلى غير ذلك من المؤثرات التي قد تحرف المعلومات المدونة عن صدقيتها، ولا تعطينا الصورة او الفكرة الحقيقية التي يجب ان يثبتها المؤرخ في كتاباته.

وحسبنا الكثير من كتب التاريخ والسير الطافحة بالكثير من المتناقضات في حقبة معينة من حقب التاريخ، وهذه حقيقة لا لبس فيها لاختلاف الرؤيا بين مؤرخ وآخر طبقا لما يحمله أي منهم من ثقافة ودراية وما تفرض عليه العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية المختلفة من المؤثرات، هذا اضافة إلى الكثير من المؤرخين الذين قاموا بوضع الاحداث واختلافها او تشوييها طبقا لمشيئة الحاكم او رغبة في التزلف إلى صاحب الامر. بينما نجد ان معظم المشتغلين بدراسة التراث الشعبي يقومون بتصوير الواقع لامتداد جذور الدراسة داخل المجتمع، واذا ما اختلفت زوايا التصوير وتباينت المعلومات لكل منهم فهي بالضرورة واقع الحال خير معين لمن يريد ان يصحح المعلومات التأريخية او يعيد كتابتها بالشكل الذي تكون فيه اقرب إلى الواقع، فالنزاعات والعلاقات والتكتلات القبلية والعشائرية والعنصرية والمذهبية او طمسها وفقا لميولة او مخالفته لها.

بينما يأخذها باحث التراث الشعبي كما هي عن طريق استقراء الحواث وما يكتنفها من امور او مسببات ادت او تؤدي إلى ظهور الحالة موضوع البحث.

والباحث في التراث الشعبي معني بالدرجة الاولى بالقاء الضوء على واقع الفرد والمجتمع في فترة من الفترات موضع الدراسة لاظهار الصورة الحقيقية وهذا لا يتم الا عن طريق المعاينة والدراسة الميدانية والاستماع إلى المسنين والمعنيين ممن يمكن عن طريقهم فهم وايضاح ما غمض او بيان سبب ما حدث اضافة إلى دراسته دراسة مستفيضة لكتب التأريخ والتراث السابقة في الموضوع بما يشبع الدراسة بحثا للتوصل إلى الحقيقة، قد يمر المؤرخ على ذكر مدينة بغداد في شتى عصورها ذاكرا اهم طرقها وشوارعها ودرابينها ومحالها وتربها وانهارها ومعالمها الكثيرة إلى غير ذلك من الامور، وهي وان تكن في جانب منها فولكلورية او تراثية، الا انها ناقصة ما لم يتم اكمالها عن طريق دراسة تراث هذه المنطقة او تلك ما ورد ذكرها في الكتب التاريخية.

فعندما نذكر المحال القديمة كالدهانة والهيتاويين وصبابيغ الآل والشورجة والعوينة وقنبر علي والمهدية وباب الشيخ والفضل والسيد عبد الله والفلاحات والتكارتة والشواكة والشيخ بشار والكريمات والجعيفر وابو دودو وسوق حنون وسوق الجايف وخان جغان وخان الزرور ودربونة النملة إلى آخره هذه التسميات ولماذا؟ وما أسباب ذلك؟ فهنا تأتي مهمة الباحث الشعبي ليبحث ذلك من جميع الجوانب وليقرب الصورة إلى الاذهان بما يعطيها الصدقية في التصور، يأخذ ذلك من الاستقراء مار الذكر. ومن استنتاجاتها في ذلك المجال، ان كثير ممن ذكر محلتي الدهانة والهيتاويين وهما محلتان مشهورتان من محال بغداد الرصافة القديمة، متجاورتان فما علاقة الدهانة بالهيتاويين؟ وما معنى الدهانة؟ هنا تأتي الدراسة الفولكلورية الشعبية لتوضيح هذا المعنى وهذا الترابط، فمن خلال ما حصلنا عليه من معلومات يكمن ان نقول: ان محلة الدهانة سميت بهذا الاسم لاشتغال اهاليها بعصر السمسم واستخراج دهنه وتصنيعه، والسمسم يأتي به في الغالب اهالي مدينة هيت لكثرة زراعته في مناطقهم والمناطق المحيطة بهم في الجزيرة ولصعوبة التنقل وبعد المسافة في ذلك الوقت وانعدام وسائل النقل السريعة والمريحة ادى إلى قيام بعض اهالي هيت السكن في المناطق المجاورة لمحلة الدهانة ليكونوا على اتصال معهم نتيجة للمصالح المشتركة فيما بينهم. وبمرور الوقت كبرت المحلتان وأصبحت كلا منهما محلة قائمة بذاتها متداخلة لا يمكن في الوقع، وضع حد فاصل بينهما وهكذا بقيت المحال كالعوينة والمعدان وصبابيغ الال والعبا خانة والتكارته وشريعة النواب الخ.

ان على الباحثين في التراث الشعبي ان يدركوا هذه الحقائق وان يسلطوا الضوء بعيدا عن المؤثرات النفسية والاجتماعية وغيرها ليتمكنوا من اعطاء صورة حقيقية للواقع في فترة معينة لمدينة او محلة من المحال او حتى لعقد من العقود.. لذا نجد من الضروري الاهتمام بهذا الجانب من الدراسات خلال سني حياتنا فيها من عقب الاباء والاجداد ومربع الطفولة والصبا ومدارج الشباب بافراحها واتراحها. فدراسة التراث الشعبي جزء مهم يحتاجه الباحث المؤرخ في دراسته لكتب التأريخ عن منطقة الدراسة التي بحث فيها المختصون بالتراث الشعبي.